يواصل الكتاب العراقيون والعرب التصدي لحملة مجلة (الآداب) ضد مؤسسة (المدى) ونشاطاتها الثقافية في العراق، وعموم العالم العربي، ويفضحون بالادلة، اسرار هذا الموقف الشائن وغير الموضوعي، الذي اتخذته هذه المجلة في حملتها الظالمة وتشويهها للحقائق الذي واجه استنكاراً من لدن مئات الادباء والكتاب في كل مكان. وما ننشره على صفحات (المدى) الثقافي هو بعض من هذه الكتابات المسؤولة لأبرز الشعراء والكتاب وستواصل (المدى) نشر بقية المقالات والكتابات تباعاً.

ليس لصمود المدى من مدى

حسين درويش العادلي

ليس بالمستغرب كافة حملات النيل من انجازات نخبنا ومؤسساتنا، فهي جزء من معركتنا الكونية التي نخوض غمارها ضد قوى الظلام، تلك القوى التي ما فتئت تستقطر سماء حقدها سموماً وتحلب ناقة كيدها فتكاً.. ليس بالغريب طوفان التشويه بعدما ترشح من أغوارها كل ترسبات الإرتزاق لتقتل كل الأزهار والبراعم. فالغريب والغريب دوماً ألا نُستهدف. الكل يدرك حجم معركتنا، وكيف نهدي للعالم الإبداع والمنجز وسط رائحة المجازر حيث تنحر الأفكار والأبدان والآمال!! الكل يعلم حجم تضحياتنا في سبيل الحياة والحرية والسيادة رغم أنّ أنفاسنا يتحد فيها الشهيق والدخان!!.. إننا اليوم نقف كالمسيح والحسين وقد وقف كل منهما وحيداً يُرسل أنواره كما تُرسل الشمس أنوارها إلى الأرض،.. نرمق ولادة المنجز، فالشمس حبلى بالنهار.. نرمق يوماً جديداً ولكن لا كسابق الأيام.. يوم في السماء ويوماً في الأرض.. يوماً تتزين فيه السماء لوافديها الجدد، فإنّ مَن يمت يولد لعهد جديد،.. ويوماً على الأرض.. فستُضخ في عروق زمن الأرض إرادات جديدة تحول دون الخنوع للإستبداد والإستعباد، وستكتسي الأرض بوشاح العزة بعيداً عن الخضوع، وسيحدد طريق الصمود هذا سُبل السالكين لمنازل العلياء.

نعم.. يقف المبدع العراقي اليوم وحيداً كسراج وسط بحر الليل، وقد أقرض الله والتأريخ والمحرومين روحه.. يشحذ إرادة القوة الكامنة في مشكاة التضحية، فلا صدق للإرادة إذا لم تُتوج بالتضحية، فالإرادة البائسة المتسترة بالسلامة لا تعدو أن تكون سوى خرقة بالية تتهرأ عند أول عاصفة ابتلاء. هكذا يفعل المبدعون، عندما يسحقون آخر عزلة لهم المسمّاة بالسلامة والاستسلام، ليُحرروا طاقة مشكاة التضحية ولتشع الحياة بأنوار الصمود والفداء.. فما لمشاعل الفضائل سوى زيت الصبر والدم، ومَن يطلب الخلود عليه أن يهب الإرادة بأكملها للفداء،... فلتصمد أيها المبدع العراقي، فليس لأعدائك سوى مقارع الطبول وحناجر الصائحين، وجنون الخوف يلذعهم!! وتَقدم.. فالجمع يُهزم.. وتوقع الأذى.. فليس للعباب من مرسى، وليس للخائف سكون.. وستنتصر.. فما لخورهم من شهيق قبال عاصفات الصمود، فإنّ العزيمة التي تُقاتل، ومَن عَهدَ الباطل فلا حظ له بالقوة. وليكن ردك على المتطاولين المزيد من الإبداع، فهنا مقتلهم، فإبداعك المتصل سيطرد الأقذار المتراكمة من سوس الفساد وقروح المتآمرين وصديد المناوئين. كل مُنجز وإبداع سُنبلة قمح ستلد المستقبل، وكل قطرة دم على طريق الحرية ستثمر براعم للنور تتفتح لتهب الحياة التوهج.

ليس لصمود المدى من مدى، وليس لصمود المبدع مديات.

عن مهرجان (المدى) وسماح السويدي

باسم عبد الحميد حمودي

الخطيئة الكبرى التي ارتكبها د.سهيل ادريس لا تتمثل في عدم دفع مكافآت للكتاب الذين لا يعيشون الا من اقلامهم، بل في انصرافه الى دار النشر وحدها وقيامه بطبع القواميس وسواها، وقد تكون هذه (الخطيئة) مفيدة ثقافيا للشباب وماديا لآل ادريس لكنها دفعت د.سهيل الى (توريث) المجلة الى ولده الشاب سماح ادريس الذي دخل عالم الثقافة وهو لا يدري ما يفعل فاصبح رئيسا لتحرير هذه المجلة لان والده صاحبها فكان ما كان منه.

قبله بسنوات كثيرة توفي جرجي زيدان رحمه الله صاحب (الهلال) وورث ولداه اميل وشكري زيدان مؤسسة الهلال بأسرها.

فعملا على تطويرها واضافة مطبوعات وسلاسل جديدة لها واستمرت (الهلال) مؤسسة ناجحة حتى بعد تأسيسها دون ان تمس المجلة بانسان او تسيء الى تيار.

محنة هذا الشاب رئيس التحرير (سماح) انه يريد ان يضع اسماً له في مجمل حركة الثقافة العربية فاصطدم بجبل شامخ هو الثقافة العراقية والمثقفين العراقيين واساء اليهم والى العرب الاخرين الذين حضروا مهرجانات (المدى) منذ ان كانت تقام في دمشق والى يومنا هذا. لن اتحدث هنا عن زيارات د.سهيل ادريس الى بغداد ايام (المربد) ولقاءاته بي ايام كنت رئيسا لتحرير مجلة (الاقلام)، ولن اتحدث عما قاله وقلته فذلك امر خاص بنا وإن كان يصب في مجمل عملية التمويل التي كان يريدها استاذنا ادريس لمجلته، ولكني اقول ان الاستاذ فخري كريم رئيس مؤسسة (المدى) لا ينكر انه يستعين باصدقائه لتمويل مشاريعه الثقافية، فدعوة ٧٠٠ مثقف واديب الى (اربيل) العراقية اولا عملية مكلفة ونجاح مهرجان (المدى) الذي أخاف سماح ودفعه لهذا الحديث المتوتر هو النتيجة.

ان سماح سهيل الشاب يظن انه فعل خيراً عندما اصطدم بصخرة ثابتة هي الثقافة العراقية ولكنه الخاسر والخاسر دائماً ويكفي فخري كريم ان يحتضن جهده المثالي هذا معظم الادباء العرب والعراقيين.

كانت (الآداب) في الخمسينيات والستينيات مجلة تجمع الكثير من الكتاب العرب اضافة الى مجلات اخرى اسهمت في خدمة الثقافة العربية وحركة التجديد الثقافي.

وقد قام معظم الجهد في الكتابة والنقاشات التي تمت في المجلة على اقلام الشعراء والكتاب العراقيين الذين اسهموا بنشاط كبير وواضح فيها منذ الاعداد الاولى.

وعلى الرغم الملاحظات الكثيرة التي ابداها النقاد والقصاصون العراقيون على دراسة د.سهيل ادريس (مؤسس المجلة) عن القصة العراقية التي درسها دراسة مستشرق اهتم بالمواد التي حصل عليها من دون ان يدخل في اعماق الحركة القصصية فقد ظل الكتاب والشعراء العراقيون ينشرون فيها من دون مقابل مادي رغم وجود عشرات المجلات الجديدة في بلادهم وفي سواها من المجلات التي تقدر قيمة الجهد المبذول في الكتابة الابداعية وفي النقد.

بارك الكتاب جميعا تأسيس دار الاداب للنشر وانشاء عمارة الآداب التي بنيت بعرق ودموع الكتاب العرب لكن كثيرين منهم تخلوا عن المجلة لينشروا في مجلات اخرى، فقد انتهت رسالة الآداب في (الالتزام) منذ السبعينيات وصارت مجلة عادية او هذا هو رايي في الاقل.

سيرة وجيزة لأستاذ القصة الحديثة إدغار آلان بو يكتبها بيتر أكرويد

هيلاري سبرلنغ

ترجمة: المدى

عرض كتاب : بو حياة قصيرة مقطوعة تأليف : بيتر أكرويد

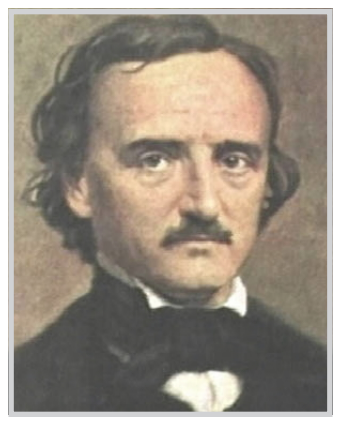

أدغار آلن بو

كتبت مجلة أمريكية متحمسة في مراجعة لقصيدة أدغار آلن بو " الغراب" حين ظهرت لأول مرة عام ١٨٤٥ بأنها "وحشية ومرجفة". و قال بو نفسه أنها من أعظم القصائد التي كتبت ووافقه على ذلك معاصروه. أصبحت لازمة الغراب **"nevermore"** العبارة الطنانة (buzzword)في نيويورك وأغرت الناس الإيقاعات والأوزان الشعرية للأبيات التي تبدو وكأنها منزلقة ،كنوع من موسيقى البوب، في انقضاضات ودوامات عاطفية فوق حفر مظلمة من العاطفة غير المحددة.

كان هذا هو مركز جاذبية بو اللاحقة لكل من الرمزيين والسرياليين وهو أحد أولئك الكتاب ،مثل " جارلس مورغان" ولورنس دوريل، اللذين جرى تبجيلهما بصورة أكبر من قبل المثقفين الفرنسيين لا الإنكلوأمريكيين. أعجب به فاليري وربنبو ومالارميه،وقال شارل بودلير أنه كلما قرأ بو صادف " لا مواضيع حلمت بها سابقاً فقط بل أيضاً جُملا كنت فكرت بها، وكتبها هو قبل عشرين سنة". تنجح الترجمة الفرنسية إلى حد ما في الكشف عن العواطف والعبارات التي تبقى في اللغة الانكليزية مبتذلة. وحتى بيتر أكرويد نادراً ما يقتبس الكتابة الفعلية لموضوعه ، ويفترض السبب في ذلك هو أن الكثير جداً منها يتأرجح على شفا العواطف المفرطة.

وذلك هو بالضبط ما كان يهدف إليه بو: كتب إلى محرر، كان يشكو من مبالغته، مدافعاً عن قانونه في "الذوق الرديء" المتعمد:" المضحك يعمقه البشع والمخيف يتلون بالمرعب والظريف تضخمه السخرية". الإفراط والشك واللاتوازن كانت بالنسبة لبو المكونات الأساسية للفن والحياة. ومن البداية للنهاية كان موجوداً على حافة الكارثة والانهيار والرفض والهجران.

كان طفلاً لزوجين من الممثلين المسرحيين الجوالين-شابين شبه معدمين وكلاهما حاضنان للسل-و التزم الرضيع إدغار أولاً جداه ثم ممرضة أعطت له ولأخته الرضيعة جرعة من مخدر اللودنوم والجن. يتعقب كاتب السيرة الاهتمامات القصصية لبو- الثقوب السود والزنزانات بلا نوافذ والنعوش الضيقة والأجساد المكبلة أو المكفنة التي تلقى حية في القبور أو السجون- راجعا حتى قبل الولادة إلى سوء التغذية في رحم أمه، حيث كان عليه أن يعرفه في الواقع كونه " أخطار فضاء محصور، فيه ترقد الضحية وهي تلهث".

كان عمر "بو" لم يبلغ تمام الثلاث سنوات حينما أخذت أمه أخيراً إلى مثواها في شتاء صقيعي عام ١٨١١،إن اليزابث بو،التي لا تزال قبل شهرين قادرة على أن تقدم نفسها على المسرح كفنانة نشطة جميلة وأنيقة،هي الآن ترقد محتضرة على حصيرة من القش في غرفة مؤجرة وقد هجرها زوجها ، ويقف إلى جانبها فقط أطفالها المذهلون اليائسون وهم عرضة للنظرة المتلهفة أو المتلطفة لأكثر السيدات المحليات نجاحاً.

وسيستعيد إيدي ،كما كان يعرف، المشهد تقريباً بعد أربعين سنة حين توفيت زوجته بالسل وعمرها خمس وعشرون سنة، وهو السن نفسه الذي توفيت فيه أمه، وكانت أيضاً مضطجعة على القش في غرفة مؤجرة محطمة ولا شيء حسب وصف أحد الزائرين سوى المعطف الكبير لزوجها وقطة العائلة لتدفئتها.

كتب بو عن هذه الحادثة في كتاب الماعات مفيدة للكتاب الطموحين:" مما لا شك فيه إن موت المرأة الجميلة هو الموضوع الأشد شعرية في العالم". إن خصوصية بو تكمن في تضبيب الحدود الحادة للحقيقة التي لا تحتمل من أجل حقائق تصويرية فخمة أكثر غموضاً. كانت تلائم السوق الرائجة البارزة حديثاً للرواية في الولايات المتحدة. إن التركيز الغامض لكتابته ووعيدها المستتر وإزاحاتها المفاجئة وانقلاباتها البشعة تعكس عدم الأمان عديم الجذور للجيلين الأول والثاني من المهاجرين الأوربيين الذين تلقوا ،مثله، تعليماً منوعا،غير مبالين باستذكار الماضي الذي هربوا منه أو النظر عن كثب في الحاضر الكئيب والمستقبل المحفوف بالمخاطر.

اخترع بو التحري القصصي الأول (في قصة " جرائم شارع مورغ") وهو رائد الخيال العلمي وأجاد الاسترجاعات والطرق المختصرة الصحفية التي ستخدم هوليوود كثيراً بعد قرن. يكتب أكرويد :" إنه واحد من أول الكتاب المهرة حقاً في التاريخ الأدبي الأمريكي". مشيراً إلى أن مهارته برهنت بصورة كبيرة على تشريف في سوق يمكن أن تكون فيه الكتب البريطانية منتحلة مجاناً (محصول بو كمؤلف بلغ حوالي ٣ آلاف دولار على مدى عشرين سنة).

سارت حياته الشخصية على النمط غير المتغير نفسه. قام الزوجان التاجران "آلن" ،اللذان لا يملكان طفلاً ، بتبني إدغار اليتيم (إذ منهما اكتسب اسمه الثاني إدغار). و سرعان ما تلاشى زهوهما الأول ومتعتهما به حين تحول طفلهما الوسيم الفاتن الموهوب إلى مراهق مستعص. و كانت التقارير التقويمية عنه من مدارس مختلفة غير مشجعة تصفه بالفشل. وكذلك المحاولات المتتالية للالتحاق بالجيش والتعيين بوظيفة ضابط في "الوست بوينت" ولاحقاً تولي مهن صحفية مختلفة غير واعدة تقريباً في تحرير الصحف.

الشيء الوحيد الذي لم يفشل فيه أبداً هو الخمرة التي كان يعبها مثل حليب الأم. لم يحصل بو على المتعة منها. منحه الكحول النسيان والعزاء وتأجيل الألم الممض والوحشة. كتب مدون سيرته المتعاطف معه:" لم يكن يشرب بانتظام لكن لو حين يفعل لا يستطيع التوقف. فالغشاوة الحمراء وقعت عليه".ومثله مثل العديد من الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم نشأ دون مسحة من الحسية. وحتى إمكانية الكمال الجنسي روعته. سلسلة طويلة من العلاقات الغرامية المجهضة مع النساء اللاتي كن بصورة ثابتة متزوجات و محطمات ومحتضرات أو بطريقة أخرى بلغ الذروة في عدم جدارته في زواجه من ابنة عمه فرجينيا ذات الـ ١٣ عاماً، فمن المحتمل أنها بقيت عذراء في رأي أكرويد.

العلاقة الفريدة الناجحة الباقية في حياته هي مع أمها، عمة بو، "ماري كليم" ولقبها "مودي" فقد أحبته وأراحته وحمته حتى النهاية. كتب في آخر رسالة قبل أن يموت بأسبوعين وعمره ٤٠ سنة نتيجة الكحول والعوز " الرب يباركك يا عزيزتي مودي، لا تخافي على "إيدي" حبيبك".

إن سيرة بو اللامعة الغريبة الوجيزة تقف لتكتسب ،بدلاً من أن تفقد ،صيغة الحياة الموجزة التي نال أكرويد براعة اختراعها. إن السيرة الموجزة هي ليست سيرة طويلة جرى إيجازها فبدلاً من التفاصيل التي تجمع بفارغ الصبر والتعقيد العاطفي والصياغة المعمارية تشتغل بضربات البرق وتلوين الجو والتكنيك الانطباعي في الإيجاز والإيحاء. وإذا كان لهذا النوع خطأه فهو بالضبط إنها تقرأ كمسودة أولى ضعيفة خامة -غير مهذبة- لكتاب جرى بحثه بصورة أكثر تكثيفاً وامتلاء وغنى. كان على أكرويد أن يلازم عن كثب طريقة إجراء بو من أجل " المقتضب والمصقول- الموجز و المتزامن والمنتشر سريعا في حضور الصيغ القديمة للمطنب والمملّ".

محنة الثقافة .. محنة الوجود

إبراهيم سبتي

ليس غريبا ان يقف بعض أبناء عمومتنا العرب وإخوتنا في المصير والتاريخ ، ضد ثقافتنا العراقية . وليس غريبا ان يطبلوا ويصرخوا بحناجر مبحوحة .. إنهم ربما نسوا إن العراقيين بتاريخهم وصنيعهم الهائل ، لم يحاربوا احدا من المثقفين العروبيين ولم يتجنوا عليه لأنهم ارفع من ذلك وأكثر هيبة .. رغم أننا لاقينا ما لاقينا وعانينا ما عانينا وهمشنا ما همشنا في اكثر من بلد يتكلم لغتنا وحتى حينما كانوا يأتون مدعوين أو ضيوفا في مهرجان أو ملتقى لم ندع اليه او ندعى بخجل من أصدقاء لنا .. مع أني اذكر تماما كيف كنا نكن الحب لهم في كل مرة نراهم فيها ، حب اهل الدار لضيفه .. مع ان بعضهم ساد على الدار وترفعوا ونامو باحسن الفنادق واستلموا مصروف الجيب الضخم وكوبونات المطاعم ، يومها كنا ننظر اليهم بعيون دامعة ليس طمعا في مطعم او مصرف ، بل لاننا في بلدنا وممنوع علينا ان نأكل مثل إخوتنا في المصير او نستلم مصروف جيب كالذي يستلمه المثقف او الأديب من ابناء العم المحب لنا جدا !! مع انهم كانوا ينظرون بعين واحدة لنا والعين الاخرى كانت تنظر الى البخشيش !! في كل مرة كان كل المدعوين يتمتعون بحسن الضيافة ، ويكتبون عنها (وربما لايكتبون) ذاكرين الفضائل والمكارم والسخاء الخاص .. الخاص جدا لهم فقط . بل ان بعضهم يرى ان حجم الابداع في العراق كان ضخما ومجزيا ولذيذا !!

هذا ما حرص القائمون على مهرجان المدى على ان يقوموا به .. انه اتصال وتواصل مع الآخر .. الآخر المثقف الواعي لقضيتنا نحن العراقيين .. كنا في حال واليوم في حال .. في الحال الأول لم نشتك لاحد ولم نقل ان ابناء عمومتنا واخوتنا في الدم والمصير

اقيم مهرجان في كردستان العراق .. في اربيل العراقية .. لم نقل اننا اقمناه لنا او وجهنا اقلامنا للتثقيف بهذا الاتجاه .. الثقافة الإنسانية واحدة طالما الابداع متشابه في التجديد والابتكار وطالما ان الهم ربما يكون واحدا .. والمثقف ليس حكرا على جهة ما .. انه مهرجان الابداع لكل اطياف الثقافة ولكل المثقفين .. هذا ما حرص القائمون على مهرجان المدى على ان يقوموا به .. انه اتصال وتواصل مع الآخر .. الآخر المثقف الواعي لقضيتنا نحن العراقيين .. كنا في حال واليوم في حال .. في الحال الأول لم نشتك لاحد ولم نقل ان ابناء عمومتنا واخوتنا في الدم والمصير ، افضل حالا ومالا منا عند قدومهم الى بغداد ، وطالما كانت المهرجانات مجيرة ومصنعة ومعلبة تعليبا خاصا ، فلا يمكن ان نحسد ضيوفنا العرب الذين صالوا وجالوا باسم العروبة وباسم العراق .. اليوم يذبحوننا من العراق الى العراق بمجرد نجاح مهرجان المدى الثقافي على ارض اربيل الجميلة ، كما ذبحتنا المفخخات والفتاوى التي لم يقولوا فيها او عنها شيئا وكأنهم في صمت مطبق وفي صحراء تحدها السماء والسماء فلا صوت يسمع ولا قلب يحن .. وليس الأمر في اسبوع المدى مجرد تجمع لبعض الاسماء وانتهى .. بل انه التزام وحرص ومهنية عالية وتذكار برفعة الثقافة العراقية المتجددة.. وللامر اهمية قصوى حين يجتمع اهل الثقافة في مكان عراقي واحد ، فقد يخرج منجز كبير ، وقد يظهر بيان مهم يشرح قضية عالقة او تجربة جديدة .. وكي لا نبخس الناس حقوقهم وجهودهم ، فمع كل دعوة خالصة تخدم الثقافة واهلها وترفع رأس الكاتب والاديب بين الرؤوس الاخرى ، و مع كل حالة تجعل المبدع يشعر بقيمته ويشعر بأنه موجود ومؤثر ..

و مع كل تجمع يعترف بأبداع المبدعين أياً كان منجزه وانتماؤه ، فأن ما تقوم به مؤسسة المدى ، شاهد ومثال على الاحتفاء بالادباء والكتاب الذين كان همهم الوطني يعلو كل الاعتبارات الاخرى . انه اعتراف بقيمة المنجز أياً كان جنسه وبالأدب والثقافة عموما ..

قصة قصيرة

ضاحية التيه

سعد محمد رحيم

رأيا المجنزرة واقفة في مدخل الزقاق، أمامها جندي يحمل بندقية، وفوقها آخر يمسك بالرشاش الكبير.. قال الأب؛

ـ لنذهب من الجهة الأخرى.

في نهاية الزقاق عبرا الشريط الضيق الجاف لصق الحائط.. كاد الولد يسقط في بركة الماء التي تتوسط الشارع وتمتلئ بالصفائح وزجاجات البلاستك وأوراق الشوكولا.. نبهه أبوه لئلا تنزلق رجلاه، وحمل عنه حقيبته.

ـ على كيفك.

فوجئا بمجنزرة ثانية في الشارع الخلفي.. سار الأب ملتقطاً يد الطفل.. طلب الطفل حقيبته بإشارة من أصابعه.. قال الأب:

ـ خلها.

ولم ينظر إلى الجندي الجالس وراء رشاشه الكبير، لكن الطفل حدق بالمجنزرة.. أعجبه الرشاش وخوذة الجندي.. غمز الجندي، ورطن بكلام غريب لم يفهمه الأب وابنه وضحك، إلاّ أن الطفل لم يستطع الابتسام.. سارا بمحاذاة المجنزرة وتلفت الطفل إلى الجندي الذي تشاغل عنه الآن.. قال الأب:

ـ امش.

وبدا كأنه يجر الطفل الذي لم يحد بنظره عن هيكل المجنزرة ورشاشها وخوذة الجندي.. عاود طلب حقيبته بإيماءة من أصابعه.. قال الأب:

ـ حسناً، خذها.

علّقها الابن على ظهره وهو يخطو بسرعة ليجاري أباه في خطواته الواسعة.. دخلا زقاقاً مجاوراً.. وجدا مجنزرة ثالثة عند نهايته..أشار الجندي الواقف أمامها؛ أن عودا.. عادا إلى الشارع الخلفي.. قال الأب:

ـ قد نجد زقاقاً سالكاً.

في الزقاق الثالث والرابع والأخير لم يسمح الجنود الواقفون أمام المجنزرات لهما بالمرور.. كانا قد وصلا نهاية الشارع الخلفي.. كانت الأزقة خالية من الناس الاعتياديين الذين تضج بهم في مثل هذا الوقت من النهار في كل يوم.. قال الأب:

ـ لعلهم أعلنوا حظر التجوال. قد نضطر للعودة إلى البيت.

لم يعلّق الطفل بشيء.. وصلا قريباً من المجنزرة التي عليها الجندي صاحب الرطانة والكلام الغريب والضحكة.. هز لهما سبابته طالباً منهما التراجع.. حاول الأب أن يُفهمه أن بيته قريب، في هذا الزقاق عينه.. لم يفهم الجندي، أو ربما فهم لكنه ظل مصراً على رأيه.. قال الأب:

ـ أين يمكننا أن نذهب الآن؟

ومسح عرقه بمنديل أخرجه من جيبه، وقال الطفل انه عطشان.. كانت الشمس تصعد بتؤدة حارقة في قوس السماء.. قال الطفل:

ـ لنقف في الظل.

قال الأب:

ـ قد يحسبوننا معادين ويطلقون النار.

ـ إذن ماذا سنفعل؟

ـ سنروح ونجيء حتى يغادروا.

وخطر له أن فكرته هذه غير صائبة فرواحهما ومجيئها سيجعلهم يشكّون.. سأل الطفل:

ـ ومتى سيغادرون؟

قال الأب:

ـ قد نجد مكاناً ملائماً لا يجدوننا فيه، وهناك نبقى حتى ينسحبوا.

ـ قد لا يكون هناك ظل.

ارتفعت الشمس وعثرا على نصف هيكل بناء بين دارين.. دلفا إلى الداخل.. كان مملوءاً بالنفايات..زكمت رائحة العفونة أنفيهما وهما يجلسان في العتمة الظليلة. وحيث خفتت سطوة الضوء عرف الأب كم هو شاحب هذا الطفل، مكدود في العطش والجوع.. مد رأسه ليرى إن كانت المجنزرات قد انسحبت.. قال:

ـ ما زالت هناك، لكنها في الليل لابد من أن تنسحب.

سأل الطفل:

ـ هل سنبقى هنا إلى الليل؟.

لم يرد الأب،أردف الابن:

ـ وهل حقاً ستنسحب؟.

ارتعشت شفتا الأب ولم يحر جواباً.. بعد نصف ساعة قال:

ـ لم أعد أطيق الرائحة، سنخرج إلى الأرض الخلاء خلف الحي. ونلتف علنا نصل المدرسة.. تأخرنا.. لا بأس.. سيتفهم المدير الأمر.

كانت الأرض الخلاء حقلاً شاسعاً.. مشيا بين أعواد النباتات الجافة قبل أن يفطنا إلى شبح مجنزرة يلوح على مبعدة.. اقترح الأب أن يرجعا ويدورا حول الحي من الجهة الثانية..

نبه الطفل أباه إلى مجنزرة تربض ثمة أيضاً.. قال الأب:

ـ ماذا لو نجلس هنا لنرتاح قليلاً..

اختارا بقعة مزدحمة بنباتات برية كثيفة، والشمس ترتفع في حلق السماء.

ـ حارة.

قال الطفل.. سأل الأب:

ـ أليست زمزمية الماء في حقيبتك؟

أخرج الطفل الزمزمية وشربا شيئاً من الماء الفاتر.. مسح الأب وجهه بمنديله، كذلك مسح وجه ابنه.. سحق الطفل بعض الأعواد الجافة بين أصابعه.. طلب منه أبوه أن يجلس.. جلس، وبعد دقائق راح يهرش جسمه.. قال الأب:

ـ أظنه النمل.

خلع الأب قميص ابنه الأبيض وفانلته وراح يلتقط النمل من على جلده.

ـ اخلع بنطالك، كيف لم تحس به؟

ـ ربما صعد إلى جسمك أيضاً.

ـ أعتقد، فعلاً.

تركا مكانهما وجلسا في ظل نباتات قصيرة.. بدءا ينظفان جسميهما من النمل.. سمعا أصوات مجنزرات تتحرك.. قال الأب:

ـ ربما كانت تنسحب.

لم تكن تنسحب.. كانت اثنتان أخريان تجثمان في الجهة المقابلة لهما.. قال الأب:

ـ الآن لن نستطيع أن نعود.

ـ علينا أن ننتظر.

ـ هنا لا يوجد نمل، اغف قليلاً.

ـ أخاف.

ـ لا تخف، لن يطلقوا النار على طفل ورجل أعزل.

ـ لماذا تحاصر الدبابات الحي؟.

ـ من يدري لعلهم يبحثون عن أشخاص.

مع حلول الظهيرة سمعا صوت المؤذن يأتي من بعيد.. قال الأب:

ـ فاتك يومك الأول في المدرسة.

قال الطفل:

ـ غداً.

كرر الأب:

ـ غداً.

أخرج الطفل شطيرة من حقيبته وناولها لأبيه.. قال الأب:

ـ كل، لا أريد.

أكل الطفل الشطيرة وشرب ما تبقى من ماء في الزمزمية.

❖ ❖ ❖

أراح الطفل رأسه على ساق أبيه وغفا.. دخل ثلة من الجنود لتمشيط الحقل.. خطواتهم حذرة وبنادقهم مصوّبة.. وقف من يتقدمهم وجاراه الآخرون.. أشار بحركة من رأسه إلى جهة ما.. إنه يسمع صوتاً أو يحس بحركة بين النباتات.. أدار الجنود عيونهم بوجل مرهفين آذانهم، وأصابعهم متوترة..

همس الأب، وهو يمسح بسبابته جبين الطفل؛

ـ أتحلم؟